«وجه في الاحكام العرفية»

كانت الشمس تجنح للمغيب ، وظلال قاتمة تلقي بثقلها على المدينة النائمة تحت سحب الهموم ، وحرارة الصيف التي تخترق الجلد كالسهام .

المدينة محاصرة طرقاتها ، تنام ليلتها الاولى تحت الاحكام العرفية .

العيون يلتمع فيها بريق ، تتوهج .. الملح على الوجنات .

آه ، الليلة دخل العسكر المدينة من ابوابها الخلفية ..

ـ ماذا حدث ؟!

كان صوتها يرن في اذنيه ..

ـ ماذا حدث ؟!

صدى السؤال يملا الافق ، تردده الحجارة ، والطرقات الضيقة التي تنام في غبار الفجيعة ، والقطط السوداء تذير الشؤم ، تموء ، وينعق البوم على الاطلال .

كانت المدينة تنام ليلتها الاولى في الحصار .

الجنود يقتحمون البيوت بحثا عن الكلمات التي تؤجج اوار الثورة ، والاصوات التي تدافع عن الفقراء ..

كان (   ) يخبط راسه بالميكرفون ، ويستدر العطف بوقاحة ، والدم براق ، ينفنق كالصدمة في الاقامة :

ـ اخواني ، فلتناموا ليلتكم الاولى في الدم ، وليس عندي لكم بعد اليوم الا هذا الطريق ..

فليدخل الجنود بيوتكم بحثا عن الكتب ، والوثائق السرية ، والشيوعيين ، نحن لا نصادر سوى الاصوات التي تقف ضد ارادتنا ، نحن الذين كتب علينا قيادة هذه الامة ، انا . انا .

انا . تحشرج صوته ، وغص حلقه بكاء ، تجمدت الكلمات على لسانه ، لا احد يصفق ، لا احد يهتف بحياته ، فمن اين البيعة ؟!

فليسارع بقتل كل من تصل اليه يديه ، قبل ان يستفيق الناس من الدهشة ، كما لقنوه ..

كان في اليوم التالي يتربع

خلف مكتبه ، واسارات الغضب في عينيه .

حوله جنود مدججون بالسلاح .

انفتح الباب ، انتصبت الرشاشات في حركة الية متوترة ، ترصد القادمين .

دخل ضابط على ثغره ابتسامة صفراء ، شاهرا مسدسه الحربي ، ومن خلفه كان الشفيع هادئا ، رغم وحشية جلاديه .

توقف على بعد ثلاث خطوات من مكتب الجنرال واحاط به ثلاثة جنود برشاشاتهم .

اشار الجنرال بعصاه :

ـ انت اذن .. انت اذن معهم ، وانا الذي قلدتك وسام النيلين .

توقف لحظة ، ثم صاح فجاة في هستريه :

ـ ارفع يديك .. ارفع يديك .

رفع الشفيع كلتا يديه ،

استعاد   بعضا من هدوئه ، وان كانت نظراته ما تزال تفسل الوجوه في ريبة .. اشعل سيجارة امريكية بولاعة ذهبية ، وراح ينفث دخانها حلقات متلاحقة ، ونشوة النصر كفقاعات الصابون تتطاير فوق جبهته العريضة ، وابتسامة صفراء تتراقص فوق شفتيه .

حرك عصاته القصيرة في الهواء ، وقال بازدراء :

ـ تعرف يا شفيع اني سأشكل لكم محاكم ميدانية ، صورية ، فورية ، وبيدي سأوقع الاعدامات .. بيدي ، لوح بقبضته المضمومة في الهواء ..

قال الشفيع بوقار ، رغم رشاشات القتلة التي ترصده من كل جانب :

ـ انا مع الحق ، والثورة .. حين كنت رجلا يعمل من اجل المسحوقين ، كنت معك بكل حواسي ، انا مع شارات الصباح ، ولست مع الظلام ضد النور .

ـ مع الحق ، اذن انت ، يا رجل الا ترى ان الشارع بايعني ، وهتف بحياتي ، والحق بجانبي لاكون نبي هذه الامة !

ـ ماذا تسمي الجماهير التي خرجت هادرة تزلزل الارض والسماء معا .. اترك للناس حرية الكلام ، وسترى من هم الذين بايعوك ، وانت لا تنسى ايام اوكتوبر ، الشعب هو الذي طالب بعودة جنرالات عبود الى الثكنات ، ويومكم جد قريب ، اقرب مما تتصورون ..

تضايق   ، واهتزت عضلات وجهه بقوة ، كز على اسنانه بعنف ، والصراخ يملا فمه ، هب واقفا وهو يصرخ في هستيرية :

ـ انا ظلام ، انا وهبتك وسام النيلين .

ـ وبامكانك ان تاخذها ، لانها ما عادت تساوي قيمة قماشها ثمنا ، خذها انها عار يلطخ صدر من يحملها ، انها وصمة عار .

تلبد جو المكان بسحب داكنة ، واختلط دخان السجائر في حلقات متوترة ، الهواء يكاد يكون غير صالح للتنفس .

توتر جو المكان ، وما زال الشفيع رافعا يديه ، والرشاش يستفزه من الخلف ..

آه حين يتسلل الكلاب في الظلام ، ينهشون لحمنا ، لان شهوتهم للدماء كالخفافيش ..

كانت المدينة غارقة في بحيرة النمر تحلم بالربيع ، وحدائق الورد تحت سماء الحرية .. وفجاة انقلب الحلم الى فجيعه .

دخل الكلاب تحت رايات سوداء للقراصنه .

كانت المدينة مبهجه ، تحتفل بزوال الكابوس عن صدرها .. والان يعم الظلام ، ويراق الدم .

لوح الجنرال بقبضته في الهواء وعن يمينه يقف كاتب في صحيفة صفراء مهمته تحريف ما يقال ، وتعديل ما يقوله الجنرال ، وجهازته ، في عينيه شراهة للمال .

آه عندما تصير الكلمة في ايدي غير امينه .

غرق الجميع في ضحك هستيري والجنرال يلوح باوراق حمراء ، مذيلة بتواقيع كثيرة ، ومختومه باختام الدوله ..

قال بصوت هو بين الضحك والبكاء :

ـ هذه الاوراق جاهزة ، وستكون بين ايدي القضاة ، كشكلية ، وهي كما ترى موقعة بالاعدامات .

لم يتراجع الشفيع خطوة واحدة للوراء ، بل ظل ملازما مكانه دون ان يهتز له جفن ، موجه بنظرة صارمة .. صمت الجميع ، وتراجعت الضحكات التي كانت تلوب على الشفاه الجامدة ..

ـ ايها   ، نحن نعرفك جيدا ، ونعرف ما اعددته سلفا حتى قبل ثورة يوليو المجيدة ، الموت لو تعلم حياة ، لان الحياة في هذا العفن هو الموت والادانة ، لن نرهب المشانق ، انما نموت من اجل الحق ، فاهلا بالموت ومرحبا ، ولكن حين تدق الساعة وتلتف الحبال حول اعناقكم ، ستموتون هلعا قبل ان تسقطوا في الهوة العميقة ، وتتحولون الى نقطة سوداء فوق صفحات التاريخ ، والتاريخ لا يرحم ، لو كنتم تعلمون .. فلتحيا الطبقة العاملة ، فلتحيا الطبقة العاملة .

هوت عليه البنادق المحاصرة ، والايدي ، والجنرال يصرخ في هستيرية :

ـ اخمدوا انفاسه ، اخمدوا صوته ..

اقتادوه للخارج والدم ينزف من فمه ، وفي عينيه بريق الامل بالمستقبل ■■

السراج احمد

حديث صحفي ممنوع من النشر

سنقاتل .. ونقاتل .. ونقاتل
حبه شباب يسار مغامر
لا راحوا شارع الهرم
ولا راحوا سامر
ولا يعرفوا حتى في كتابه المحاضر
تاعبين قلوبهم على ايه
ما يقولوا حاضر
وادى احنا قولنا
سنقاتل ونقاتل ونقاتل ..

× × ×

ستين مغامر
سبعين مغامر
ميه .. (٢٠٠) .. الف
راح بيجوا ايه في شعبنا
صامت وصابر
راضين وعال العال كمان
بيبوسوا ايدهم بالمشقلب
والقاعدة هادية في المية ميه
مطنشين ..
زي انا لما كنت طالب
كان مالنا احنا والسياسه
طب دي سياسه
عايزه كياسه
عايزه شبابنا مطنشين
مش عايزه شباب يسار مغامر
ما شافش جوزه ولا داقش بيره
اش عرفه طب في السياسه
هيه السياسة دي لعبه
طب دي سياسه
حرية قال للشعب كله
دا تبقى فوضى ..
وقال كمان ديمقراطيه
امال رجال الامن دول شغلتهم ايه ؟
والشرطة دي والسجون
معمولة ليه .. لجل تلعب
حرية ايه وزفت ايه
داحنا تحالف
طب داحنا وحدة وطنيه
عندنا الدستور صريح
والاتحاد الاشتراكي ..
عندنا القوانين كتيره للمشاغبة
والتظاهر
وحرية قال وشعب قال
دول يسار ومغامرين
ما بيفهموش في السياسه
في التغيرات العالميه
في التباعد والتقارب والقنابل الذريه
ما استوعظوش من عصر هتلر
ولا موسوليني
ولا يفهموش في التاريخ ولا في التراث
ولا يفهموش في الدبلوماسي
وقال يطالبوا بالحقوق للعاملين
والفلاحين ..
طب هم مالهم
هم ياعني كانوا راحوا واشتكولهم
ولا ياعني كانوا قالوا عريانين
ولا قول لما يصحوا كنا يعني نعمل ايه
دا السجون مليانة خالص
راح نودي الباقي فين
والصمود معناته ايه ..
ناس مبفهموش
حرية قال وشعب قال
يا اخي طنش
زي ما احنا مطنشين
دول يسار ومغامرين
وان لقيتلك لهطه
خذها وانت ساكت
واحنا قولنا برضه يعني قصدي يعني
برضه قولنا سنقاتل .. ونقاتل
.. ونقاتل

أيّار ... في خدمة جلالتها ...

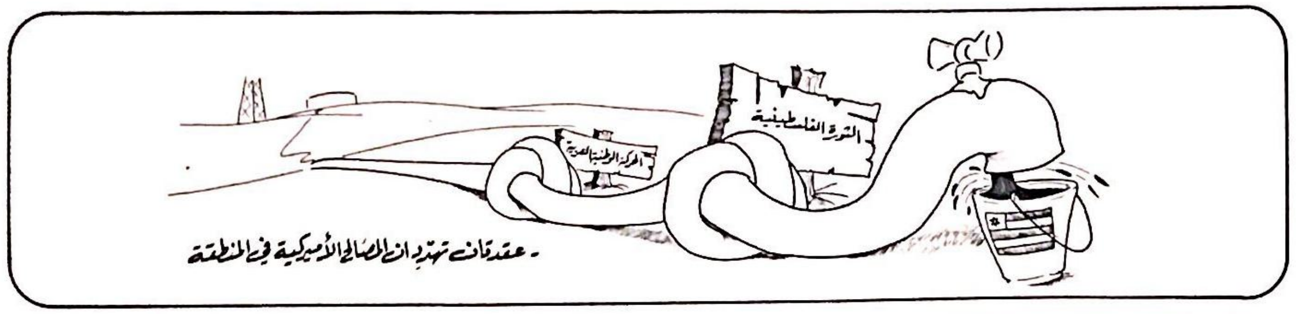

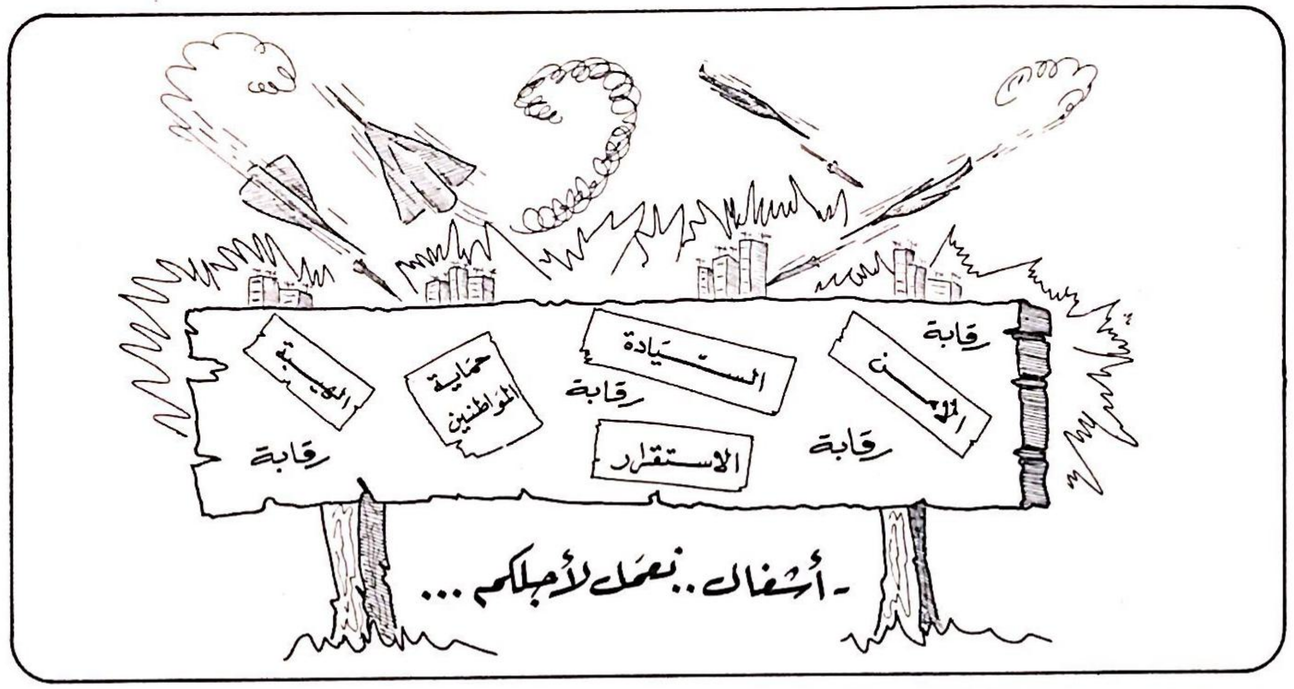

مراقبة

مراقبة

كلمة ليست قصيرة

القذيفة لا تعرف طريقها

الحديث عن دور المثقف العربي في المعركه الذي تنشره بعض الصفحات الثقافية في الجرائد اليوميه يبدو ليس اكثر من خيبة احستها الثقافة خلال المحنة التي تعرض لها اللبنانين والفلسطينيين على حد سواء. فلقد غاب دور المثقف ، الاديب والفنان غيابا كبيرا ولا نقول كاملا . فلا شك ان هنالك بعض الادباء والفنانين الملتزمين كانوا ضمن الازمة يسهمون في بلورتها نحو الحل الاوفق .. نحو النصر . والذي نخافه ونحزن عليه ، هو ان الكلمة ستاتي متاخرة بانتظار النتائج لتتحدث عن التمزق وعن الهروب من المدن الحزينة ، وعن كل ما لم يذاق بالتجربة . الذي نخافه ونحزن عليه ان تطبع بضعة روايات وعشرات من الاشرطة السينمائية ، ومئات من القصص ، والاف من المسرحيات ، وعشرات الالوف من القصائد الشعرية لادباء سمعوا اصوات المدافع وانفجارات القذائف والصواريخ وهم في غرفهم دون ان يمتزجوا بالهلع المرسوم على وجوه الاطفال ودون ان يعرفوا كيف يحقدون عن كل اسلحة الدمار التي تشوي نضارة الوجوه .

اذا لم يكن الواقع ليسمح لهم بان يكونوا ضمن هذه الحالة ، فعلى الاقل يزوروا المخيمات . يسالوا المراة العجوز التي حملت حقائبها في ٤٨ و ٦٧ وايلول ٧٠ ، ويتساءلوا مع انفسهم الى اين هذه المرة وكيف .. ولماذا ايضا ؟

ليسالوا الفدائي الفلسطيني ويتعرفوا على بندقيته ، هل اطلقت النار اولا ام كانت ترد دفاعا ؟! ليتطلعوا الى البيوت البسيطة المهدمة ، هل كانت مواقع للرماية ام حجرات صغيرة للسكن ؟ ثم ليعرفوا بعد هذا ، ان القذيفة لا تعرف طريقها جيدا ان هي اطلقت من مسافة بعيدة ، هي ذات المسافة بين الادب المعاصر والثورة المعاصرة .